

فضل عشر ذي الحجة - 2

عباد الله: تنمة خطبة الجمعة الماضية في فضل عشر ذي الحجة، إخوة الإيمان: إعلموا أنّ العمل المفضول في الوقتِ الفاضلِ يلتحقُ بالعملِ الفاضلِ في غيره من الأوقاتِ، وتتجلى هذه الخصائص والمزايا العالية لهذه الأيام في صيغ التفضيل التي استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان فضلها ومكانتها: ويشمل العملُ الصالحُ الفرائض والواجبات وكلّ أعمال البرِّ وأعمال التطوُّع من العبادات؛ فاستعينوا بالله عباد الله على اغتنامِ عشرِكُمْ، وَجِدُوا وَاجِبَهُدُوا، فَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ، يَنْقُضِي تَعْبَهَا، وَيَبْقَى عَظِيمُ أَجْرُهَا مِنْ صَلَاةٍ وَصَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَبِالْأَخْصِ صِيَامٍ يَوْمَ عَرَفَةَ، كَمَا يَشْمَلُ أَيْضًا تَرْكُ الْمُنْكَرَاتِ، وَقَدْ حُصِّتْ هَذِهِ الْأَيَّامُ الْفَوَاضِلُ بِهَذِهِ الْفَضَائِلِ لِاجْتِمَاعِ أُمَّهَاتِ الْعِبَادَةِ فِيهَا؛ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ، وَذَلِكَ لَا يَتَأْتَى فِي غَيْرِهَا، وَلَئِنْ فِي أَيَّامِهَا مَا لَيْسَ فِي مِثْلِهَا، فَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تَنْعَمُونَ بِعَشْرِ مَبَارَكَةٍ، عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ الْأُولَى، أَفْضَلَ أَيَّامِ السَّنَةِ، فَأَلْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْهَا وَهُوَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ، مُبْتَدَأُ أَعْمَالِ الْحَجِّ، فِيهِ يُهَلُّ الْحُجَّاجُ وَيُؤْتُونَ، وَإِلَى مَنَى وَعَرَفَاتٍ يَنْطَلِقُونَ، وَالْيَوْمُ الثَّاسِعُ مِنْهَا هُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَهُوَ يَوْمٌ عَظِيمٌ، فَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَمَّ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ النِّعْمَةَ، وَأَكْمَلَ فِيهِ الدِّينَ؛ فَهُوَ خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ، قَالَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] وَهُوَ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، قَالَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ الدَّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ] وَصِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، يَكْفُرُ ذُنُوبَ سِتِّينَ: الْمَاضِيَةِ وَالْقَادِمَةِ، وَالْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ هَذِهِ الْعَشْرِ هُوَ يَوْمُ النَّحْرِ، فَهِيَ كَمَا تَرَى - أَيَّامٌ مُبَارَكَةٌ، وَأَوْقَاتٌ بِالْخَيْرِ عَامِرَةٌ، وَمِنْ الْأَزْمِنَةِ الْمُبَارَكَةِ الْفَاضِلَةِ، عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَحْرُسَ عَلَيْهَا فِي هَذِهِ الْعَشْرِ: تَجْدِيدُ النِّيَّةِ وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَحْرُسُ الْعَبْدُ كُلَّ الْحَرِصِ أَنْ تَكُونَ سَكَنَاتُهُ وَحَرَكَاتُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَكُونَ أَعْمَالُهُ مُرَادًا بِهَا وَجْهَهُ سُبْحَانَهُ، مُتَّبِعًا فِيهَا سُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْفُضَيْيِّ: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ [رَوَاهُ مُسْلِمٌ] وَمِمَّا يَشْرَعُ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ: الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ، كَمَا يَجِبُ الْحَرُصُ عَلَى الصَّلَاةِ، فَهِيَ مِنْ أَجْلِ الْأَعْمَالِ وَأَعْظَمِهَا وَأَكْثَرِهَا فَضْلًا، وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْحَافِظَةَ عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا مَعَ الْجَمَاعَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْفُضَيْيِّ: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ.... رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَأَخْرَجَ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ يَوْمًا، هُوَ فِيهِ أَضْعَفُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَعْظَمُ، مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنْزِيلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعَظِيمِ، إِلَّا مَا أَرَى يَوْمَ بَدْرٍ قَيْلٌ وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَرِيعُ الْمَلَائِكَةَ-أَيَّ يَصِفُ الْمَلَائِكَةَ لِلْقِتَالِ-، وَرَوَى أَنَّ الْفَضِيلَ بْنَ عِيَّاضٍ نَظَرَ إِلَى تَسْبِيحِ النَّاسِ وَبِكَائِهِمْ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ صَارُوا إِلَى رَجُلٍ فَسَأَلُوهُ دَانِقًا-وهو مبلغ ضئيل من المال-فهل كان يرددهم؟ قالوا: لا، فقال: واللَّهِ لَلْمَغْفِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ أَهْوَنُ مِنْ إِجَابَةِ رَجُلٍ لِهِمْ بِدَانِقٍ! عِبَادَ اللَّهِ: ففي عشر ذي الحجة-يوم النحر- يوم الحج الأكبر- وإن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر، ثم يوم القَرِّ [رواه أحمد] ويوم القر: هو اليوم الحادي عشر؛ لأن الناس يقرون فيه بمنى؛ أي: يقيمون بها أيام التشريق وينحرون هداياهم، فالحجاج يتقربون إلى الله بذبج الهدايا، وأهل البلدان يتقربون إليه بذبج الضحايا، عباد الله: من الأعمال التي ينبغي أن يحرس عليها المسلم في العشر من ذي الحجة: الإقلاع عن المعاصي وجميع الذنوب، لأن المعاصي سبب البعد والطرد عن رحمة الله، والطاعات كلها أسباب القرب من الله تعالى، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إنكم على مشارف عيد الأضحى، وإنه يُشْرَعُ لَكُمْ فِيهِ عِدَّةُ أُمُورٍ: أَوْلَا: أداء صلاة العيد، وهي من أعظم شعائر الإسلام في هذا اليوم، وقد صلاها النبي صلى الله عليه وسلم، وداوم على فعلها هو وأصحابه والمسلمون في زمنه وبعده زمنه، بل حتى النساء كُنَّ يشهدنها في عهده صلى الله عليه وسلم وبأمره، لكن المرأة إذا خرجت لأدائها لم تخرج مُتَطَيِّبَةً وَلَا مُتَزَيَّنَةً وَلَا سَافِرَةً بِغَيْرِ حِجَابٍ، وَمَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعِيدِ أَوْ أَدْرَكَ الْإِمَامَ فِي التَّشَهُدِ قَضَاهَا عَلَى نَفْسِ صِفَتِهَا الَّتِي صَلَّى بِهَا الْإِمَامُ، وَثَابِتًا: الاعتسال لصلاة العيد، والتجمل فيه بأحسن الثياب، والتطيب بأطيب ما يجد من الطيب، ثالثًا إظهار التكبير مع الجهر به: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، والله الحمد من حين الخروج إلى صلاة العيد حتى يأتي الإمام ليصلي بالناس صلاة العيد، وأما النساء فلا يجهرن بالتكبير إذا كنَّ بحضرة الرجال أو تصل أصواتهن إليهم، وخامسًا: الأفضل أن تذهبوا إلى صلاة العيد مشيًا، وأن يكون ذهابكم إلى مصلى العيد من طريق، ورجوعكم من طريق آخر، لثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، سادسًا: 7 تكبيرات في صلاة العيد بتكبير الإحرام، في الركعة الأولى قبل القراءة، و6 تكبيرات في الركعة الثانية، قبل القراءة، لثبوت ذلك عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله-، سابعًا: الجلوس لساعات خطبة العيد، وعدم الانشغال عنها بشيء كالتهنئة أو رسائل الجوال أو غير ذلك، ثامنًا: تهنئة الأهل والقرابة والأصحاب والجيران بهذا العيد بعد الصلاة، وذلك بطيب الكلام وأعدبه، وأفضل ما يقال من صيغ التهنئة: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنَّا، أَوْ عِيدَكُمْ مَبَارَكًا، لثبوتها عن الصحابة رضي الله عنهم، فيرد الآخر: أعاده الله علينا وعليكم بالخير واليمن والبركات. ولا شك أنّ التهنئة بقدم العيد من الأمور المشروعة المباحة.